

الوظيفة التعليمية للمعاجم العربية

د/ كبير الشيخ

- كلية الآداب والعلوم الإنسانية

المركز الجامعي بعين تموشنت

لقد تأكد لنا أن اللغة تتسع وتنمو وتتطور على مر العصور سواء من حيث قواعد نحوها وصرفها أو من حيث مفرداتها وتراكيبها وأساليبها تبعاً لتطور الناطقين بها فكرياً وحضارياً واجتماعياً.

وأن مجموعات كبرى من صيغها وألفاظها تتغير في مدلولاتها ومفاهيمها نتيجة لعوامل وظروف طبيعية وحضارية مختلفة، وبذلك فإنها تصبح من الضخامة والسعة والتشعب، بحيث لا يستطيع أحد الإحاطة بها وبكل ما تشتمل عليه من صيغ وتراكيب وأساليب وكلمات مهما اتسع علمه وسمت قدراته أو مواهبه ودامت ممارسته للغة. وبالنسبة للغة العربية فقد أكد ابن فارس وهو لغوي ذلك بقوله: "وما بلغنا أن أحداً ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها".

ويخبرنا جلال الدين السيوطي صاحب كتاب المزهري بأن عدداً من علماء العربية سئلوا عن أشياء في اللغة فلم يعرفوها أو اعترفوا بعدم معرفة أصولها أو معانيها. وأورد على ذلك شواهد كثيرة فإذا صحت الرواية السابقة وصح ما قال السيوطي فإن ذلك يدل دلالة واضحة على صعوبة بل استحالة الإحاطة بمفردات اللغة في كل مستوياتها وأبعادها حتى لحفظتها والمتخصصين المتبحرين فيها والعارفين بأسرارها والمولعين باستقصاء ألفاظها والبحث عن معانيها ومع أن القرآن الكريم نزل على العرب بلغتهم التي ينطقون بها وفي عهد نقائها وصفائها وفصاحتها فقد صعب على بعضهم معرفة معاني ألفاظه وصيغه فقد روى بدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن أنه كان ابن عباس وهو ترجمان القرآن يقول: "لا أعرف حناناً ولا غسليلاً ولا الرقيم". ولهذا احتاج الناس إلى من يكشف لهم معاني ومدلولات ألفاظ القرآن وعباراته وهذا هو ما دفع علماء اللغة فيما بعد إلى تصنيف كتب خاصة يجمعون فيها ما سمي بغريب القرآن من المفردات ويفسرونها ويوضحون معانيها ومع أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عربي ما نطق إلا بالعربية الفصحى الصافية فقد غاب على نثر ممن عاصره إدراك معاني بعض ما ورد في أحاديثه وكلامه من مفردات وتراكيب

لفظية، الأمر الذي دفع فيما بعد إلى تصنيف كتب خاصة تشتمل على ما سمي بغريب الحديث والتي تتولى شرح وتفسير ما اشتملت عليه بعض الأحاديث من غريب العبارات أو المفردات أو المعاني هذا ما قاله الأستاذ حسين نصار صاحب المعجم العربي وإذا كانت هي الحال بالنسبة لمن عاش عهد الفصاحة ونقاء اللغة وصفائها وبالنسبة للناس في عصر لم تصل فيه اللغة ما وصلت إليه فيما بعد من سعة وتطور واختلاط وتأثر فكيف بأناس هذا العصر ومعرفتهم باللغة ومفرداتها بعدما واجهت هذا العصر تطورات وتغيرات عبر الأزمان وما بلغته من سعة ونمو إنه الواقع التاريخي والعقلي إذاً يشهد باستحالة الإحاطة باللغة وبكل ما يرتبط بها من مفردات وصيغ وأسباب.⁽¹⁾

إن الإحاطة بجانب كبير من اللغة من مفرداتها وتراكيبها وكل ما يتصل بهذه المفردات والتراكيب من معان ومدلولات ليس بعسير على الإنسان فقد يكرس شخص ما رزق موهبة الحفظ وحسن الفهم جهداً خاصاً لتخزين معلومات معينة كثيرة في ذاكرته فيوفى وتظل ذاكرته محتفظة بما اختزن فيها فترة من الزمن قد تطول غير أن المشكلة أو الصعوبة تكمن كما يرى علماء النفس في استرجاع كل ما علم أو تلقن هذا الشخص من معارف وحفظ من معلومات بعد توالي الزمن، إذ يتعذر على ذاكرة الإنسان مهما قويت واتسعت أن تحتفظ بكل ما أودع أو اختزن فيها من معلومات لأمد بعيد فالإنسان معرض لأن ينسى الكثير مما حفظ واكتسب من معلومات أو معارف مع مرور الزمن وخاصة عندما لا تتوافر الحوافز أو الأسباب لاسترجاع وحضور هذه المعلومات أو المعارف في ذهنه وعلى ضوء ذلك فإنه مهما كانت معرفة الإنسان باللغة ومهما كثر محفوظة من مفرداتها وتراكيبها فإن إحاطته بكل مفردات اللغة تكاد تكون أمراً مستحيلاً وإن الاحتفاظ بكل ما تلقن وحفظ من هذه المفردات يبقى أمراً صعباً أيضاً، بل إنه لا يكاد يحتفظ في ذاكرته إلا بأقل القليل منها وفي حدود ما يستعمله ويستحضره في ذهنه منها.⁽²⁾

لقد قيل إن ما يستخدمه المثقف العربي المعاصر من مفردات لغوية في الكتابة والتأليف والكلام لا يكاد يتجاوز الستة آلاف لفظة بينما يصل مجموع مفردات اللغة العربية كما يقول بعض الدارسين والمهتمين إلى اثني عشر مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف وأربعمائة واثنى عشرة لفظة، هذا ما ذكره الدكتور حسن ظاظا في كتابه كلام العرب وإذا كانت هذه الإحصائية صحيحة فإنها تدل دلالة قاطعة على عجز الإنسان عن الإحاطة حتى بقسط كبير من مفردات لغته وعلى حاجته الماسة إلى مراجع يعتمد عليها تذكره وتمده بما يحتاج إليه وبما

يغيب عن ذاكرته أو بما لم تشتمل عليه حصيلته اللغوية من مفردات لغته كما تزوده بمعاني ومدلولات هذه المفردات وتعرفه بمواقع وأساليب وأشكال استعمالها، إنه يحتاج إلى مراجع ترصد له مفردات اللغة على مر العصور وتنبع كل معانيها ومفاهيمها عبر تطوراتها المختلفة وإلا سيفقد الاتصال بجزء كبير من تراثه ويحرم من الاستفادة من نتائج وإبداعات الأجيال الماضية وربما الحاضرة أيضاً ومن هنا جاءت الحاجة إلى تصنيف المعاجم وقواميس اللغة على مختلف أنواعها وأشكالها ومناهجها.

إن من أعظم ما ابتكره الإنسان لحماية اللغة والحفاظ عليها حية نامية متطورة تأليف معاجم تحفظ مفردات اللغة القومية وتتولى تفسيرها وتوضيحها وتتكفل ببيان صور استعمالها وتمييز الأصل من الدخيل والحقيقي من الزائف والحي من الميت والسائد من النادر فيرجع إليها الإنسان ليتزود بما يحتاج إليه من ألفاظ يعبر عنها وبها عما تخطر له من أفكار وتبدو له من معان ويختار منها ما يتلاءم مع مشاعره وأخيلته من صيغ ويتعرف على ما صعب عليه فهمه من مدلولات وبذلك يحيي لغته وينعشها ويبقيها ثابتة حية مع الزمن باستخدامه المستمر السليم لها نطقاً وكتابة وبما يبدعه وينتجه فيها فكره كما أنه يتخطى حاجز الزمن ويعيش مع الأجيال الماضية فيستفيد من خبراتها وما أبدعته قرائح أهلها وأنتجته عقولهم.

المعاجم اللغوية هي خزائن اللغة وكنوزها التي يستخدمها الإنسان بما يغني حصيلته اللغوية وينميها ويجعلها مرنة طيعة في مجالي الأخذ والعطاء، في مجالات الاستيعاب والفهم والتوسع الفكري والنمو العقلي والمعرفي وفي مجالات التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافي لكن أثر المعاجم ومدى فعاليتها في هذه المجالات يتوقف بصورة أساسية على نسبة استعمالها ثم على معرفة الفرد بأنواعها وأشكالها ومناهج تصنيف المفردات بها وأخيراً على طرق استخدامها وكيفية استغلالها وأوجه الاستفادة منها⁽³⁾.

اللغة كجبل الجليد العائم، فجزء منها وهو تكوين الصوت في المجرى الصوتي، والحركات المصاحبة، ومرور الصوت عن طريق الهواء وتأثيره في الأذن، مكشوف للملاحظة المباشرة، غير أن الجزء الآخر وهو أكبر من هذا كثيراً، وأعني به تكوين النطق في دماغ المتكلم، والتقاط السامع له، واقتران الإشارة - في الماضي والحاضر - بالتجربة المنفصلة، على انفراد، والمشاركة اجتماعياً، كل هذا تحت الجزء السطحي، ولا يمكن معرفة مداه إلا بسبر غوره.

ان الوجود البشري ملتحم باللغة، وليس ثمة انسان اعتيادي مجرد من هذه القابلية، ولا يعرف اي نوع آخر من الكائنات التي تمتلكها اللهم الا الطفل البشري الذي ينعم بغريزة بدائية من هذا القبيل تؤهله للنطق، غير انه يحتاج الى عدة سنوات من التعلم والتمرين، قبل ان يتوصل الى كفاية الانسان البالغ في استعمال لغته الاصلية، حتى اذا ما حصل عليها اصبحت المصاحب الدائم لجميع مظاهر السلوك البشري، وهي في الوقت نفسه. مع انها مما يمتلكه الفرد - الرابط - الذي يكون المجتمع، وبرغم ان اللغة لا تتقرر بالتركيب البيولوجي للانسان، فانها تعتمد عليه ولا ترتبط الاختلافات في اللغات بالاختلافات الجسمية بين الناس، فكل شخص يستطيع ان يتعلم اي لغة كما لو كانت لغته الوطنية (اللغة الام)⁽⁴⁾.

تنوعت المدارس اللغوية وطرائق تدريس اللغة تبعا لفهم كل مجموعة من العلماء للامور الثلاثة الاتية:

❖ ماهي اللغة؟ ماهي وظيفتها؟ كيف نكتسبها؟

1. ماهي اللغة؟ أي قوانين تدرك ام مهارة تكتسب؟ فاذا كانت قوانين كيف ندركها؟ وكيف نستخدمها؟ وهل ننجح في ذلك ام نفشل؟ وما العوامل المساعدة على الفشل او النجاح؟.

و ان كانت مهارة، فكيف نكتسبها؟ وكيف نستخدمها؟ وهل ننجح في ذلك ام نفشل؟ وما العوامل المساعدة على كل ذلك؟

- اللغة مجموعة من الاصوات التي تتجمع لتكون كلمات لها معان عرفية، وهذه تتجمع لتكون تراكيب وجملات تعبر عن احساس وافكار متنوعة، وكل ذلك يتم طبقا لقوانين معينة خاصة بكل لغة، تبدأ بقوانين الاصوات، ثم الصرف، ثم التراكيب وتنتهي بالمعنى.

2. وظيفة اللغة :

اللغة وسيلة اتصال بين البشر، بل هي اهم وسيلة للاتصال بينهم، وهي وسيلة تفكير أيضا، وهي اهم وسيلة لاكتساب المعلومات من الآخرين، أو نقلها اليهم، والتواصل بين البشر يتم بالاستماع إليهم او قراءة ما كتبوه، ونقل الافكار والأحاسيس إليهم يتم بالتحدث معهم، أو الكتابة لهم.

و اللغة وسيلة من الوسائل التي يستخدمها الإنسان للوصول الى أهدافه، وليست هدفا نسعى إليه، وهذه الوسيلة مكتسبة ولا يمكنها أن تؤدي وظيفتها إلا إذا تحولت إلى مهارة ولما كان الأفراد يختلفون في درجة إتقان المهارات تبعا لاختلاف قدراتهم، والمواقف الحياتية تتطلب

مستويات مختلفة من إتقان المهارات، ويترتب على هذه الوظيفة سؤال مهم، هو لماذا نتعلم اللغة؟ والإجابة ببساطة نحن نتعلم اللغة لنستخدمها في التفكير والتواصل مع الآخرين، لا نحفظ قوانينها أو نتأمل خصائصها، لأن حفظ الخصائص والقوانين وحده لا يجدي في اللغة، بل يجب أن نتجاوز ذلك إلى التدريب على استخدامها استخداما سليما يؤدي إلى تحقيق وظيفتها، فاللغة إذن وسيلة وليست هدفا نسعى إليه وإنما الهدف هو حسن استخدامها.

3. كيف نكتسبها؟

إن من أهم الاتجاهات الحديثة في تعلم اللغة، التي بدأ التبشير بها منذ بداية القرن العشرين، تدريس اللغة على أنها وحدة متكاملة، فليس هناك قواعد وحدها، ولا أدب وحده، ولا قراءة منفصلة. بل تكتمل الفروع جميعها لتكون اللغة، ونعلمها كوحدة حتى تتضح وظائفها اتساحا كاملا. وعلى هذا الأساس جاءت الاتجاهات الحديثة في تعليم اللغات القومية، لتركز على التلقي، والشافهة، والتكامل، والوظيفة.

وتعني الوظيفة أن لغة جانبين: جانبا يمثل الحديث والكتابة، وجانبا إدراكيا، أو جانب استقبال يشمل الاستماع والقراءة، وتعليم اللغة على أساس هذين الجانبين، يجعلها تؤدي وظيفتها التي يفترض أن تؤديها، ألا وهي تسهيل عملية الاتصال.

لذلك اسفرت البحوث والدراسات عن تغيير التفكير في تعلم اللغة، اذ عدت لهذا التفكير فلسفة خاصة به تقوم على: أن اللغة أداة اتصال، بمعنى أن تعليم اللغة ينبغي أن يقوم على اساس وظيفتها في الحياة⁽⁵⁾.

لذا كان من الضروري تطوير اللغة من خلال استخدام الوسائل والتكنولوجيا الحديثة، لأن إتباع الأساليب الجافة في تعليم اللغة يؤدي إلى نفور الناشئة⁽⁶⁾ وفي عصرنا، عصر العلم والمعلوماتية أضحت اللغة هي الوجود ذاته، وقد أصبح هذا الوجود مرتبطا بنقل الوجود اللغوي على الشبكة ❖ (الانترنت). لذلك لابد من الاعتراف بحاجتنا الماسة والملحة لنهضة لغوية شاملة، قادرة على تلبية مطالب ومقتضيات العصر، شريطة أن لا يلحق ذلك على عاتق اللغويين فقط، بل لابد من وجود التقنيين والفنيين في مجال الحاسوب والعلماء بشتى التخصصات، والاقتصاديين والسياسيين الأكاديميين والمشتغلين في مجالات الكتابة الإبداعية إلى جانبهم. للوصول إلى صيغ ومصطلحات، ومفردات عربية، سليمة، دقيقة، علمية وعملية أيضا، والعمل على تقريب الحاسوب وليس الترجمة العربية فقط.

ومن هنا نجد انه لابد من تطوير تكنولوجيا المعلومات لصالح اللغة العربية نظرا لأن هذه التكنولوجيا تؤثر على الطفل العربي، وتعد سلاحا ذا حدين، ففي الوقت الذي ينبغي فيه تشجيع الشباب على المشاركة في مجال تكنولوجيا المعلومات بمختلف فروعه، يجب علينا ان لا ننسى انه يجب الانتباه إلى ميل الشباب نحو استخدام اللغة الانجليزية والفرنسية على حساب اللغة العربية⁽⁷⁾.

لذا فان الوسيلة الوحيدة للسيطرة على الفجوة العلمية والتقنية بين الغرب وبيننا، هي اللجوء إلى حركة واسعة من الترجمة والتعريب، يكون أساسها وضع المصطلحات العلمية والتقنية المقابلة، لتلك التي تغرقنا بها العولة وهذا يفترض معرفة عميقة ودقيقة بلغات العالم ذات الصلة العالمية⁽⁸⁾.

ولابد من جهد مصطلحي متكامل، يحيط بكل دقائق العلوم المختلفة في لغاتها الأصلية، من اجل الوصول الى تنظيم لغوي، ومصطلحي، ينتهي الى تأكيد التزاوج بين اللغة والفكر عموما، وهذا التزاوج هو الذي يسمح بإخراج العبارة العلمية في المستوى الفني الذي يرفع على شكل من اشكال اللبس والإغماض، بالاستناد إلى تسلسل منطقي ينير الطريق الى الفهم والاستيعاب، وهو عمل دعوى يرفع من شأن لغتنا، ويفتح لنا ابواب الاستفادة من الحضارة، ثم المشاركة في بناء مستقبلها، فالحضارة واقع ملموس في الحياة المدنية وفي الفكر والثقافة، والممارسة، والسلوك، وهي تعتمد اللغة حاملا وناقلا لجميع محتوياتها.

ونحن اليوم نجد أنفسنا في مواجهة كم كبير من المعلومات المتفجرة تنثرها قنوات الاتصال المتشابكة، فتنظم في علوم جديدة، تنفرع عنها تخصصات جديدة، تنفرد بحيز أصغر فأصغر في كل علم كالفيزياء- الكيمياء- الطب وغيرها، هذا إلى جانب علوم مبتكرة، حديثة بامتياز، كعلم التحكم وعلوم المعلوماتية وعلوم الفضاء، وهي علوم تتطلب مستويات عالية من المعرفة اللغوية، للوصول إلى فهم مقوماتها في لغاتها، قبل النظر في إنتاج المصطلحات التي يتطلبها نقلها إلى العربية، وسلاحنا لغة عريقة، عظيمة، تحمل تراثنا الفكري، وتجربتنا الحضارية وتعكس حقيقة مجتمعنا⁽⁹⁾.

والملاحظ ان استخدام المفردات التكنولوجية الحديثة في إطار العربية، يعتبر دلالة على قوة هذه اللغة، وليس ضعفا.

إن عصر العولة يطالب العرب بأن يكونوا أكثر إدراكا لما يجري حولهم، من انتقال سريع للمعلومات، وتبادل واسع للثقافات.

ولغتنا لديها بما وهبها الله من غنى وسعة ما يؤهلها لمواكبة هذا الانفجار المعرفي والمعلوماتي، ولنجاح هذه التقنية مع لغتنا علينا تحديث التعليم بتطوير مناهجه، لتواكب عصر الحداثة.

كما ان آثار استخدام وسائل التقنية في تطوير اللغة العربية أمام تحديات العصر يساهم في تحديث طرائق تعليم اللغة العربية (تكنولوجيا التعليم). لأن اللغة لم تعد مجرد أداة للاتصال أو مجرد نسق رمزي ضمن انساق رمزية أخرى، بل أصبحت أهم العلوم المغذية لتكنولوجيا المعلومات. إذن: كيف نهئى لغتنا العربية لمطالب عصر المعلومات؟ كيف نبعث الحياة في كيان هذه اللغة العظيمة، ننظيرها وتعليمها، واستخدامها؟ كيف نحررها من احتكارية بعض المتخصصين فيها؟

كيف نهتم بالمعالجة الآلية للغة العربية، ونعرب نظم التشغيل، ونعمم لغات برمجة عربية، ونستعد للدخول إلى عصر الترجمة الآلية عن طريق اللغة العربية؟ لابد من أن نعلم صغارنا مبادئ البرمجة باللغة العربية، وذلك نظرا إلى العلاقة الوثيقة بين البرمجة والفكر من جانب، وبين الفكر واللغة من جانب آخر. ولابد من رسم أطار جديد لمنظومة تعلم اللغة العربية، ويقتضي هذا الإطار الجديد ضرورة إعادة النظر في تعلم اللغة، فإذا أردنا الحصول على المخرجات التعليمية المناسبة لغويا، التي تتمثل في خريجين قادرين على الاستماع مع الفهم والتحدث بطلاقة والكتابة بصحة وسلامة وجمال وقادرين على القراءة والفهم، والتحليل، والتفسير، والنقد، والتقويم، والتذوق، وقادرين على التفكير السليم، وإعادة صياغة الفكر وتوليد المعاني والإبداع، إذا أردنا تحقيق ذلك علينا إعادة تنظيم المداخلات التعليمية في منظومة اللغة التي تقتضي وجود معلم للغة العربية على درجة عالية من الكفاءة⁽¹⁰⁾.

كما ينبغي ان تعلم اللغة بطريقة متكاملة، من خلال النصوص العربية الجميلة: قرآنا، وحديثا، وشعرا ونثرا. كما يقتضي اصطناع الجو المدرسي اللغوي الصحي، الذي يحتضن اللغة العربية، ويجعلها في صميم الفؤاد⁽¹¹⁾.

كما نحتاج من جهة أخرى إلى إعادة النظر في تعليم اللغة التلقيني من خلال المدرس، والتركيز على التعلم الذاتي للغة، الذي يساهم في دفع الفرد إلى التعلم المستمر مدى الحياة، وتلبية مطالب المعرفة اللغوية المتجددة. ونقل الوعي بأهمية اللغة من مستوى النخبة إلى

مستوى العامة، ولا بد أن يتم ذلك بالتنسيق مع الإذاعة، التلفزيون، الصحافة، مواقع الانترنت، فضلا عن دور الأسرة والمدرسة.

وإضافة إلى ما ذكر فقد تطورت طرق تعليم اللغات تبعا لتطور فهم الإنسان للغة ودورها وطريقة اكتسابها، وأصبح المنهج السائد في تعليم وتعلم اللغات في العالم مبنيا على أساس إنها مجموعة من المهارات، وعلى المرء ان يتقنها ليقوم بدوره وينجح في حياته وأصبحت مهمة معلم اللغات مساعدة المتعلم على اكتساب هذه المهارات والنجاح في ممارستها، بل إن التعليم القائم على اكتساب المهارات والعناية بكفاءة المتعلم أصبح من الأنظمة السائدة في الدول المتقدمة في جميع ميادين التعلم والتعليم، ولم يعد مقصورا على اللغة، ولما كانت اللغة من أهم وسائل التعلم والتعليم فإنها تأخذ عناية خاصة في مناهج التعليم المعاصرة، فهي النافذة التي يطل منها المتعلم على معظم المعارف والعلوم، وقد ترتب على هذا الفهم للغة مجموعة من المبادئ التي يجب الأخذ بها في تعلم وتعليم أية لغة، وهي:

1. التسلسل المنطقي لتعليم اللغة يقتضي أن لا يكتب المتعلم كلمة او عبارة لم يسبق له قراءتها، ولا يقرأ ما لم يسبق له نطقه، ولا ينطق جملا أو كلمات لم يسبق له سماعها أي إن التسلسل الزمني لتعليم المهارات اللغوية هو السماع فالنطق، فالقراءة ثم الكتابة.
2. لما كانت اللغة تستخدم للتعبير عن الأفكار فان من الواجب تقديم اللغة في مواقف حقيقية لها معنى، ولا يجوز تقديمها في جداول جامدة للحفظ.
3. إذا أردنا أن نتحدث اللغة بثقة وسرعة الأطفال، فيجب علينا أن نمر بالتدريب الذي مروا به.
4. المتحدث لا يحتاج إلى اختبار عدد كبير من الجمل الجاهزة في عقله، ولكن كل ما يحتاجه هو القوانين التي تمكنه من خلق وفهم هذه الجمل.
5. تقاس الكفاءة اللغوية بمدى قدرة المرء على تطبيق القواعد التي تعمل على عدد لا يحصى من الأمثلة في اللغة سمعا وابتكارا وإنتاجا.
6. تعليم اللغة يتطلب تقديم مجموعة من العادات الكلامية المنظمة خصيصا، ثم مطالبة الطالب بتكرار استخدامها.
7. يجب أن يدرب الطالب على التفكير أولا فيما سيقول، ثم التفكير في كيفية القول.
8. بعد عدة ساعات من الدراسة التقليدية ليستطيع الطالب أن يسمع الجداول والقوانين النحوية، ولكن يبدو غير قادر على التحدث باللغة التي تعلمها. لذلك يجب أن لا يدرس النحو

على شكل قواعد ونماذج نظرية، ولكن يجب أن يقدم النحو بطريقة مفهومة مرتبطة بالاستخدام والوظيفة.

9. يجب تجنب الأخطاء النحوية والإملائية، لا لأنها تخالف القواعد فقط، ولكن لأنها تنقص من اثر وسيلة الاتصال الذي يعد هدفا أساسيا لاستخدام الوسيلة في الأعمال الشخصية الخاصة والأعمال التجارية والإدارية⁽¹²⁾.

لقد ولى الزمن الذي ساد فيه الاعتقاد بأن اللسان يساوي البنية، تركيبية أو صوتية، وقل فيه الاهتمام بالمفردة في تعليم اللغات وتعلمها. وانتبه مجموعة من الباحثين المتخصصين في المجال اللساني إلى أن أفضل وسيلة لاستعمال لغة ما استعمالا فعليا يكمن في ضرورة توفر على معرفة معجمية واسعة، كما دعوا إلى تبني المعرفة المعجمية وترك التقليد الذي كان سائدا في العصور القديمة، الذي كان التركيز فيه منصبا حول النحو، وقل فيه الاهتمام بالمفردة في تعليم اللغة وتعلمها وفي إطار هذا التصور الحديث أضحى المعجم يشكل مركز الاكتساب اللغوي الذي ينتظم حوله كل المكونات اللسانية الأخرى، من تركيبية صرف وصوائف. وهذا ما يفسر أن المعجم هو أساس الأخبار والمعرفة ويساهم في تمكين التلاميذ والطلبة من ولوج عالم الإبلاغ والتواصل بسرعة مادام تعلم اللغة العربية، أو أي صنف من اللغات يقوم على مواقف المتكلمين وليس على تلقين القواعد. ولهذا فالاهتمام بالمعجم يساعد كثيرا على تنمية القدرة التعبيرية والتواصلية لدى التلاميذ والطلبة حيث اقر عدد كبير من الباحثين في هذا المجال إلى أن ضعف القدرة التعبيرية والتواصلية لدى التلميذ والطالب سببها عدم القراءة والكتابة ولا يتحدثان بما فيه الكفاية. ولكن التجربة بينت ان معرفة هذه القواعد وحدها لا تحل المشكلة. وهذا هو الخطأ الذي سقط فيه عدد من الباحثين البيداغوجيين التقليديين. إنما يسهل إثباته اليوم على ارض الواقع هو ان معرفة معجم لسان ما تساعد كثيرا على التعبير والتواصل لأن المعجم يحتل مكانة سامية التي تحافظ على غناها وتراثها فهو ديوان اللغة وعنه يأخذون ألفاظها ويكشفون غواصها، ولذا لا يكاد فرد من أفراد الأمة من لديه قسط من العلم يستغني عن الرجوع الى المعجم لأنه ينمي الاستجابة اللغوية عند المتعلم، ويطورها اتجاه تفعيل مناشط فعل التعلم، والتخزين والاسترجاع والتوظيف. كما يحقق للمتعلم المرجع اللغوي للتوظيف القولي والحدثي للاتصال والتواصل. كما يشكل المتن اللغوي لارتكاز المتعلم عليه في تطوير لغته وتنمية هذا المتن واغتنامه من خلال الإنتاجية اللغوية. كما يشكل الركيزة الأساسية في تأثيث المعجم الذهني

عند المتعلم، باستدخال حيثيات الحدث التعليمي والمعلومات العالقة بالمتن التعليمي، من نطق وكتابة وتراكيب، وصرف، وقواعد صوتية، ومعاني، ووضع مقامي وبلاغي، ورموز، وعلامات، ومصطلحات، وإحداث. إلا أننا بعد فحص دقيق لمختلف المعاجم العربية، نجد غياب تام لما يسمى بالكفاية التعليمية، لأن العرب القدماء من صناع المعاجم لم يعتنوا كثيرا بالبعد التعليمي في معاجمهم اللغوية⁽¹³⁾ حيث انصب اهتمامهم بالدرجة الأولى حول غايات تتصل بالمشروع اللغوي العام الذي كان يهدف إلى جمع اللغة العربية وتوثيقها وحفظها مخافة من ضياعها.

مكانة المعجم في تعلم اللغة العربية:

لا زال المعجم يحتل مكانة هامشية في تعليم اللغة العربية، وهذا أحدث ثغرة في التعلم، هذا من جهة ومن جهة أخرى علينا أن نشير إلى تلك العقبات التي تعترض الصناعة المعجمية العربية، ولا يمكن تجاوز تلك العقبات إلا باستثمار النتائج التي بلغها البحث في الخصائص النظرية للمفردات في الحقل اللساني، سواء تعلق الأمر باللسانيات التطبيقية أم باللسانيات النظرية، ثم تنمية القدرة المعجمية، وتتمثل أولى هذه النتائج ما ذهب إليه النحو التوليدي التحويلي بزعماء رائده ❖ نعم تشومسكي ❖ الذي طور نظريته للمعجم وإتيانه بما يسمى بالمعجم الذهني الذي يمتلكه كل مستعملي اللغة، باعتباره نسقا من العلاقات بين الذوات التركيبية والدلالية والصرفية والصوتية. وإلى جانب المعجم الذهني، نجد بما يسمى بالمعجم المولد مع ❖ بوستوفيسكي ❖ الذي يركز على ما يسمى بالإبداعية في اللغة.

تنمية القدرة المعجمية:

إن تنمية القدرة المعجمية تعتبر دعامة أساسية لنمو تعلم اللغات والثقافات خصوصا إذا تبيننا المنهجية التواصلية التجديدية، في اكتساب اللغة العربية وثقافتها. ذلك لأن الوحدات المعجمية تبقى دائما حجر الزاوية لقيام أي عملية تواصلية أو إبداعية.

وما ينقصنا نحن اليوم في العالم العربي هو البحوث الميدانية التي تستخلص لنا المفردات الأكثر تداولاً في لغة الاستعمال اليومي، لإثبات معجم أساسي لتعلم اللغة العربية. لأننا إذا تأملنا في المعجم العربي، نجد أن عددا من الوحدات المعجمية قد أصبح مهجورا في العربية الفصحى المعاصرة، كما تم توليد ألفاظ جديدة، اقتضتها ظروف التطور في عصرنا الحاضر، وتتجلى خاصة في معاجم المصطلحات العلمية والتكنولوجية⁽¹⁴⁾.

نستشف من خلال هذا العمل ان المعجم يساهم في تقوية الكفاءة التواصلية والتعبيرية لدى التلميذ والطالب إذا تم استعماله استعمالاً صحيحاً. لأن المعجم أضحى يشكل مركز الاكتساب اللغوي. وحقق قفزة نوعية نظراً للاهتمام الذي انصب حوله من طرف البيداغوجيين والباحثين اللسانيين المتخصصين.

الهوامش:

1-[www. google. dz/gws-rd=cr&ei](http://www.google.dz/gws-rd=cr&ei)

2-vb. arabsgate. com/showthread. Php.

- 3- عمراحمد مختار- صناعة المعجم الحديث- مصر/عالم الكتب- 1998.
- 4- الأدب واللغة -سلسلة معارف الإنسان- إعداد المكتب العالمي للبحوث والمنشورات- المكتب العالمي للطباعة والنشر- بيروت- 1403هجري/1983م.
- 5- د/النعمي علي (الشامل في تدريس اللغة)- دار أسامة للنشر والتوزيع -الأردن- عمان- ط1- 2004. الفصل الثاني ص24- 25.
- 6- د/السيد محمود/ سوء أساليب تعليم اللغة العربية ص12.
- ❖الشابكة: مصطلح اعتمده مجمع اللغة العربية بدل كلمة (الانترنت) في مؤتمر اللغة العربية وعصر المعلوماتية الذي عقد في 20- 2006/11/22
- 7- اللغة العربية عبر الانترنت -منتدى الشباب العربي الأول لتكنولوجيا المعلومات 2006- ص1. www. arabrenewal. com
- 8- د/المحاسني مروان - اللغة العربية ومواكبة العلوم الحديثة -مؤتمر اللغة العربية وعصر المعلوماتية بدمشق 2006- ص4.
- 9- المرجع السابق. ص17.
- 10- د/مدكور احمد علي / اللغة وثقافة التكنولوجيا/ القاهرة- مصر/ الفصل الرابع ص171.
- 11- ابن خلدون -المقدمة- بيروت- دارالقلم- ط1- 1978.
- 12- مصطفى بن عبد الله بوشوك- تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها- دار الهلال العربية للطباعة والنشر- ط1- 1990.
- 13- حسين نصار- المعجم العربي نشاته وتطوره- ج2- ص949.
- 14- www. google. dz/gws-rd=cr&ei